wadod.org

القصيدة المنفرجة

لابن النحوي التوزري

٤٣٣ - ٥١٣ هـ

تقديم وتحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد - ليبيا

تمهيد:

كان لهذه القصيدة ذيوع وانتشار بين الناس، إذ اعتقدوا أنها تحتوي على الاسم الأعظم، فما قرأها أحد وتوسل بنية صادقة وقلب متحرق إلاّ استجيب دعاؤه ولبّى الله مطلبه. واكثر من ذكرها من القدامى يميل إلى أنها من نظم الفقيه العارف أبي الفضل يوسف بن محمد يوسف المعروف بابن النحوي التوزري المتوفى ٥١٣هـ. وهو من أصحاب الاجتهاد في الفقه، ومن أصحاب الكرامات كما سيأتي في ترجمته. روى تاج الدين السبكي عن كتاب «الغرة اللائحة» لأبي عبد الله محمد بن علي التوزري المعروف بابن المصري: «إن هذه القصيدة لأبي الفضل يوسف بن محمد النحوي التوزري قال: وذلك أنّ بعض المتغلّبين عدا على أمواله وأخذها، فبلغه ذلك، وكان بغير مدينته «تَوْزر» فأنشدها، فرأى ذلك الرجل في نومه تلك الليلة رجلاً في يده حربة، وقال له: إن لم تردّ على فلان أمواله قتلتك بهذه الحربة، فاستيقظ مذعوراً وأعاد عليه أمواله. قلت: وكثير من الناس يعتقد أن هذه القصيدة مشتملة على الاسم الأعظم، لأنه ما دعا بها أحد إلاّ استجيب له. وكنت أسمع الشيخ الوالد - رحمه الله - إذا أصابته أزمة ينشدها»[1]، لكنه حين يعرض لحياة أبي طاهر المحلّي[2]، وروايته لكرامة من كرامات العارف أبي عبد الله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٥.

(٢) أبو طاهر المحلي محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنصاري، خطيب جامع مصر العتيق، وهو جامع عمرو بن العاص، قدم من المحلّة إلى مصر وتفقه بها على جلّة العلماء.. اشتهر علمه وعمله حتى صار شيخ الديار المصرية. كان مولده (٥٥٤هـ) وتوفي في السابع من ذي القعدة ٦٣٣هـ بمصر ودفن في سفح المقطم. فكان يوم وفاته مشهوداً في مصر، وقبره مشهور بإجابة الدعاء عنده، والناس يقصدونه لذلك كما ذكر تاج الدين السبكي. [انظر طبقات الشافعية =

wadod.org

القرشي محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي المتوفى ٥٩٠هـ عن الحافظ أبي الحسين محمد بن العطار القرشي الفقيه قال في نهاية الحكاية: «والقرشي هذا من كبار العارفين وهو صاحب القصيدة المسماة «بالفرج بعد الشدة» المجرَّبة لكشف الكروب وأولها:

اشتـــدّي أزمـــة تنفـــرجـــي   قـــدآذن ليلـــك بـــالبلـــج[١]

وقد جاء في شرح الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي المتوفى ٩٢٦هـ القصيدة المنفرجة المسمى «الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة» مانصه: «فهذا ماشتدت إليه حاجة المتفهّمين للمنفرجة قصيدة الإمام العلامة البحر الحبر الفهامة، العارف بالله تعالى أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل المعروف بابن النحوي، على ماقاله العلامة أحمد بن أبي زيد البجاي شارحها، أو أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي، على ماقاله العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته، مع نقله الأول عن أبي عبد الله محمد بن علي التوزري المعروف بابن المصري»[٢].

وقد رجّح حاجي خليفة أنها لابن النحوي التوزري قائلاً: «القصيدة المنفرجة لأبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي المتوفى ٥١٣هـ[٣] لكنه قال بعد ذلك: «وقيل لأبي الحسن يحيى بن العطار القرشي الحافظ والأول أرجح» وفي هذه الرواية وهم في موضعين، أولهما: اسم العطار القرشي، الذي ذكره السبكي أنه الحافظ أبو الحسين محمد بن العطار الذي روى كرامة العارف أبي عبد الله القرشي الأندلسي، الذي سبق ذكره في شرح الانصاري ناقلاً عن السبكي، والوهم الآخر، أنّ هذا الأخير أي القرشي الاندلسي هو الذي نسبت إليه القصيدة المنفرجة، لا ابن العطار كما وهم حاجي خليفة أو نساخ كشفه.

لقد اتفق الرواة وشراح القصيدة ومخمسوها على ترجيح ابن النحوي التوزري ومنهم من لم يذكر غيره، وبعضهم روى القصيدة معنعنة عن شيوخه كما كان في شرح الشيخ علاء الدين البصروي الدمشقي في شرحه المسمى «السريرة المنزعجة لشرح القصيدة المنفرجة»[٤]، وممن رواها له أيضاً وخمسها الشيخ عبد الله بن نعيم القرطبي

= الكبرى ٥/ ٢٠ ـ ٢٤].

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٤.

(٢) شرح الشيخ الأنصاري ورقة آ ب وانظر القصيدة المنفرجة ـ محمد بوذينة ص٦٩.

(٣) كشف الظنون ١٣٦٦.

(٤) نشر هذا الشرح بوذينة في كتاب «القصيدة المنفرجة» ص٣٩.

wadod.org

المتوفى ٦٣٦هـ بقسنطينة(١) وكذا الشيخ ابن الشباط التوزري المتوفى ٦٨٤هـ وله تخميس عليها أيضاً سماه: «عجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية»(٢).

لقد لقيت القصيدة المنفرجة عناية واسعة في المشرق والمغرب، فعارضها شعراء وخمسها آخرون، وشرحها علماء، فعرف من تخميساتها حوالي التسعة، ومن شروحها حوالي ثلاثة وثلاثين شرحاً. ذكرت مخطوطاتها في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٥/ ١١٠ ـ ١١١، وتوزعت ما بين المكتبة الوطنية بتونس ودار الكتب المصرية والظاهرية بدمشق، التي آلت إلى مكتبة الأسد ومكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة.

ابن النحوي التوزري(٣)

٤٣٣ ـ ٥١٣هـ = ١٠٤١ ـ ١١١٩م

هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي التوزري التلمساني، ولد بتوزر في حدود ٤٣٣هـ. وتوزر من المدن التونسية قال عنها ياقوت: مدينة توزر في أقصى إفريقية، ووصفها بالعمار وكثرة النخيل والبساتين(٤).

أخذ الفقه والحديث على كبير علماء توزر في عصره أبي زكريا عبد الله بن محمد الشقراطيسي، ورحل إلى صفاقس للأخذ على شيخ الفقهاء في عصره أبي الحسن اللخمي فقرأ عليه التبصرة وصحيح البخاري، وأخذ أصول الفقه وعلم الكلام على الشيخ المازري وكان من الأعلام في عصره أيضاً. تكامل علمه وظهرت جهوده في مجالات عدة. فكان شاعراً مجيداً كشيخه الشقراطيسي، وكان متفقهاً يميل إلى الاجتهاد كشيخه المازري. وقد ذكر السيوطي قول السلفي: إنه أقرأ النحو وأخذه عنه أبو محمد عبد الله بن سليمان التاهرتي(٥).

لقد لقي ابن النحوي المتاعب في حياته، والمقاومة من الفقهاء ورؤساء عصره، إذ كان أغلب فقهاء المغربين: الأوسط والأقصى في عهد المرابطين ينفرون من علم الكلام

(١) انظر عنوان الدراية لأبي العباس الغبريني ص٣٢٥.
(٢) انظر القصيدة المنفرجة لمحمد بوذينة ص١٣٤.
(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد التنبكتي ٦٢٢، البستان: لابن مريم٢٩٩ طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي ٥/ ٢٠، بغية لاوعاة ٢/ ٢٦ الأعلام: للزركلي ٨/ ٢٤٧ القصيدة المنفرجة ـ محمد بوذينة ١٦.
(٤) معجم البلدان ٢/ ٥٧.
(٥) بغية الوعاة٢/ ٢٦٢.

wadod.org

وأصول الفقه، وعاد النحوي بعد استكماله علمه إلى بلده توزر، ثم غادرها متجولاً بين مدن الجزائر والمغرب الأقصى، يدرّس النحو والفقه والأصول وعلم الكلام. ففي فاس درّس اللمع في أصول الفقه للشيرازي عام ٤٩٤هـ وكذا درّس علم الكلام، وله بفاس شعر جميل منه: [من البسيط]

يـا فـاسُ منك جميـعُ الحسـنِ مُسترقٌ وسـاكنـوك أُهنّيهـم بمـا رُزِقـوا
هـذا نسيمُـك أم رَوْحٌ لـراحتِنـا ومـاؤك السلسـلُ الصّـافـي أم الـوَرِقُ
أرضٌ تخلّلهـا الأنهـارُ داخلَهـا حتّـى المجالـسُ والأسـواقُ والطُـرُقُ

كما درّس الأصول في سجلماسة، فأمر ابن بسام وهو أحد رؤساء البلد بطرده من المسجد قائلاً: هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لانتعارفها، فدعا عليه الشيخ فمات في اليوم الثاني(١). وكان التوزري متأثراً بتعاليم أبي حامد الغزالي الصوفية الفلسفية المتقيدة بالأصول، وكان شديد الاعتزاز بكتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) وعندما أفتى قاضي قرطبة ابن حمدين بإحراق «الإحياء» للغزالي تابعه طائفة من الفقهاء الرسميين بالأندلس والمغرب الأقصى على فتواه، وانصاع الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين لرأي الفقهاء، فأصدر أمره بجمع نسخ الإحياء لإحراقها. كتب إليه ابن النحوي معارضاً هذا العمل، وأفتى بما يناقض فتوى القاضي ابن حمدين منتصراً للغزالي. وقد كان في رمضان يقرأ كل يوم جزءاً من إحياء الغزالي الذي انتسخه بثلاثين جزءاً(٢).

لقد اتفقت كلمة مترجميه على أنه كان من العلماء العاملين الورعين، بارعاً في الفقه وأصول الدين، يميل إلى النظر والاجتهاد مع النزاهة وخوف الله، زاهداً لايقبل من أحد شيئاً، يعيش مما يأتيه من إيراد ضيعة له بتوزر. كان يظهر تعففه ويقول:

[من البسيط]

عطـاءُ ذي العـرش خيـرٌ مـن عطـائكـمُ وسيبُـه واسـعٌ يُـرجـى ويُنتظَـرُ
أنتـم يكـدّرُ مـا تعطـونَ منّكـمُ واللهُ يُعطـي ولا مَـنٌّ ولا كَـدَرُ

قال الشيخ أبو القاسم بن الملجوم الفاسي: ورد أبو الفضل فاساً، فلزمه أبي، وحفظ لمع الشيرازي عام أربعة وتسعين وأربعمائة(٣)، ثم سافر إلى قلعة بني حمّاد قرب

(١) نيل الابتهاج ٦٢٣.
(٢) انظر نيل الابتهاج ٦٢٤، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، لاحسان عباس ص٢٨، ٥٩ فيه ذكر لقضية إحراق كتاب الغزالي، وقد أفتى الفقيه أبو الحسن البرجي بعدم رضاه على فعل الحرق، إذ أفتى بتأديب محرقها وتضمينه ثمنها أي تغريمه.
(٣) نيل الابتهاج ٦٢٤.

wadod.org

بجاية[١] على رأس القرن السادس واستوطنها، وأقرأ في جامعها علم الكلام والأصول، فأخذ نفسه بالتقشف ولبس خشن الثياب، وكان يتردد من هناك على مدينة توزر مسقط رأسه لزيارة أهله، وكان ينزل في دارهم، وهي المعروفة باسم خلوة أبي الفضل. ومن القلعة عزم على التوجه إلى أداء فريضة الحج، فكتب إليه أهله من توزر: لمن تركتنا؟ فكتب إليهم بطاقة فيها: [من السريع]

إنّ الـــذي وجّهـــتُ وجهـــي لـــهُ   هـــو الـــذي خلّفـــتُ فـــي أهلـــي
لأنّـــه أرفَـــقُ منـــي بهـــم   وفضلُـــه أوســـعُ مـــن فَضْلـــي

ويُذكرُ أنّ دعوته كانت مستجابة، ورُويت عدة أحداث في ذلك. منها دعوته على قاضي الجماعة الذي أبطل درسه في علم الكلام في الجامع. قال أبو الفضل داعياً عليه: كما تسبّب في إهانة العلم فأرنا فيه العلامة، وخرج فتبعه ولد القاضي، وكان له اعتقاد في أبي الفضل، فقال له: ارجع لوالدك لتواريه، فرجع فوجد أباه قتله بعض أعدائه[٢].

وشكا إليه بعض أهله الضيق من فراره من حاكم بلده الظالم، ورجاه أن يتوسط له عند الظالم ليأذن له بالرجوع، فقال له سأفعل، وتضرع إلى الله في تهجده قائلاً:

[من البسيط]

لبستُ ثـوب الـرجـا والنـاس قـد رقـدوا   وقمـتُ أشكـو إلـى مـولاي مـاأجـدُ
وقلـتُ يـا سيّـدي يـا مُنتهـى أملـي   يـا مَـنْ عليـه بكشـفِ الضُّـرِّ أعتمـدُ
أشكـو إليـك أمـوراً أنـتَ تعلَمُهـا   مـا لـي علـى حملهـا صبـرٌ ولا جَلَـدُ
وقـد مـددتُ يـدي للضـرّ مشتكيـاً   إليـك يـا خَيْـرَ مَـنْ مُـدّت إليـه يَـدُ

فاستجيب دعاؤه وقضيت حاجة سائله[٣].

وذكر مترجموه أيضاً ماجرى له بفاس مع قاضيها ابن دبّوس، إذْ تسبب بمنعه من تدريس الأصول وعلم الكلام. دعا عليه في سجدة بتلك الليلة قائلاً: اللهم عليك بابن دبوس، فأصبح ميتاً[٤].

وعند عودته من سفره من حجة أصابته مصيبة من بعض الولاة الجائرين، فنظم

---

(١) بجاية مدينة بالمغرب الاوسط تقع شرقي الجزيرة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط، اختطها الناصر بن علناس أشهر ملك الدولة الحمادية سنة٤٦٠هـ وسماها الناصرية باسمه (عنوان الدراية ص٧).

(٢) نيل الابتهاج ٦٢٣.

(٣) السابق ٦٢٤ قال: ونظم منفرجته في ذلك الحين.

(٤) نيل الابتهاج ٦٢٣.

wadod.org

قصيدته المنفرجة فزالت عنه شدته. قال ابن الشباط[١] التوزري المتوفى ٦٨٤هـ: كان قد «أنشأها عند شدة نالته فأقشعتها بفضل الله للحين وزالت، وعادت الحالة إلى أحسن ما كانت عليه، فهي لهذه المزية من أوثق العدة، وأوفق أسباب الشدة»[٢] فشاعت لها هذه المزية وعني بها العلماء معارضة وتخميساً وشرحاً.

كانت وفاة ابن النحوي التوزري صاحب المنفرجة بقلعة بني حمّاد، وهي من أعمال قسنطينة عن ثمانين سنة في محرم سنة ثلاث عشرة وخمسمائة[٣]، وقبره معروف بها، أقيم عليه قبة جميلة على أنقاض تلك المدينة المهجورة، التي لم يبق منها سوى بعض الرسوم الصنهاجية. وضريحه معروف باسم «سيدي أبو الفضل».

«عملي في تحقيق نص المنفرجة»

حاولت أن استخلص نص القصيدة من عدة مصادر، بعد اتخاذي الأصل المخطوط في مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس في ضمن مجموع رقمه (١٨٥٤٧) وخطه مغربي متأخر. كانت عدة أبياتها في المخطوط ثمانية وثلاثين بيتاً، بزيادة ثلاثة أبيات على ماذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص١٣٤٦. إذْ صرح بأنّ عدة أبياتها خمسة وثلاثون بيتاً، وقد ذكر أسماء من خمسها ومن شرحها من العلماء. وبعد نسخها عارضتها بالنصوص الآتية:

١ـ تخميس الشيخ عبد الله بن نعيم القرطبي المتوفى ٦٣٦هـ مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس، وقد نشر نصه في كتاب عنوان الدراية للغبريني ص٣٢٥..

٢ ـ تخميس الشيخ ابن الشَّبّاط التوزري المتوفى ٦٨٤هـ نشر محمد بوذينة بتونس ص١٣٤.

٣ـ النص المذكور في طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ٥/ ٢٠ .

٤ـ شرح القصيدة للشيخ علاء الدين البصروي الدمشقي المتوفى ٩٠٥هـ مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس ونشره بوذينة.

٥ـ شرح القصيدة المنفرجة للشيخ زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى ٩٢٦هـ وكان

(١) ابن الشباط التوزري محمد بن علي بن محمد ولد بتوزر ٦١٨هـ وبها نشأ، وأخذ عن علمائها وتولى فيها القضاء، وانتقل إلى تونس فتصدر للتدريس بجامع الزيتونة، ثم عاد إلى مسقط رأسه ينشر علمه في الناس. وكان شاعراً له تخميس لقصيدة ابن النحوي «المنفرجة» توفي ٦٨٤هـ. [انظر القصيدة المنفرجة لبوذينة ١٣٤].

(٢) السابق ٢٣.

(٣) نيل الابتهاج ٦٢٢.

wadod.org

وأين من كانت الأيام تسعده . وأين من كان لا يعفو إذا قدرا
وأين من كان يعفو عن قدرته . وأين من كانت الدنيا له ذكرا
من كل ذي إمرة في الناس كلهم . تحت الثرى أصبحت أخبارهم سيرا
كأنهم ما رأوا دنيا وزينتها . ولا رأتهم ولا سرت بهم نظرا
وأصبحت ألسن الأحوال تنشرهم . عشاقها افترقوا والزد قد انكسرا
سبحان من عز في توحيد قدرته . وللعباد بقهر الموت قد قهرا
تعنوا وسبحان من عز البقاء له . سبحانه من مليك جل مقتدرا
ماذا من الناس في الأرماس لو خرجوا . لضاقت الأرض حتى لا تسع ظفرا
في كل قبر ولو في البحر تطلبه . فلو كثير تأمل تنظر العبرا
[illegible]
تم النظام وفي أبياته حكم . تحكي البواقيت في الأسلاك والدررا
[illegible]
وعن علي وعثمان وعشرتهم . وتابعيهم ومن آووا ومن حضرا
ويغفر الله للشرب بن ناظمها . والوالديه ومن في الجمع قد حضرا
وكل من ملة الإسلام تجمعه . والحمد لله رب جم من غفرا
انتهت القصيدة المباركة بحمد الله تعالى وحسن
عونه وتوفيقه والحمد لله رب العالمين.

كملت قصيدة الشيخ سيدنا الإمام العارف بالله أبو الفضل
يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي المسماة
بالمنفرجة نفعنا الله علينا من بركاته. آمين
اشتدي أزمة تنفرجي . قد آذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرج . حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير لها مطر . فإذا جاء الإبان تجي
ولها أرج محيي أبدا . فاقصد محياه ذاك الأرج

ولربتما فاض المحيا • ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعا في يده • فذوو سعة وذوو حرج
ونزولهم وطلوعهم • فعلى درك وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم • ليست في المشي على عوج
حكم نسجت بيد حكمت • ثم انتسجت بالمنتسج
فإذا اقتصدت ثم انعرجت • فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج • قامت بالأمر على الحجج
ورضا بقضاء الله حجا • فعلى مركوزته فعج
وإذا انفتحت أبواب هدى • فاعجل لخزائنها ولج
وإذا حاولت نهايتها • فاحذر إذ ذاك من العرج
لتكون من السباق إذا • ما جئت إلى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته • فلمبتهج ولمنتهج
فهج الأعمال إذا ركدت • فإذا ما هجت إذا تهج
ومعاصي الله سماجتها • تزدان لذي الخلق السمج
من يخطب حور الخلد بها • يظفر بالحور وبالغنج
فكن المرضي لها بتقى • ترضاه غدا وتكون نجي
واتل القرآن بقلب ذي • حزن وبصوت فيه شجي
وصلاة الليل مسافتها • فاذهب فيها بالفهم وجي
وتأملها ومعانيها • تأتي الفردوس وتنفرج
واشرب تسنيم مفجرها • لا ممتزجا وبممتزج
مدح العقل الآتيه هدى • وهوى متول عنه هجي
وكتاب الله رياضته • لعقول الخلق بمندرج
وخيار الخلق هداتهم • وسواهم من همج الهمج
وإذا كنت المقدام فلا • تجزع في الحرب من الرهج
وإذا أبصرت منار هدى • فاظهر فردا فوق الثبج

wadod.org

قد قابلها على عدة نسخ، وذكر ذلك في أثناء شرحه، وصورة من مخطوطتها التي في دار الكتب الوطنية بتونس في حوزتي.

٦ـ كتاب المقتطفات من فنون المألوف والموشحات ـ ط القاهرة (د ت).

لقد وجدت نص القصيدة المخطوط أقرب في عدد الأبيات إلى ماذكره حاجي خليفة، وأما النص الذي ذكره السبكي في طبقاته فعدة أبياته أربعون، وفي شرح الشيخ البصروي الدمشقي أربعون بيتاً أيضاً، على وفق ترقيمنا لأبيات القصيدة، ولم يشر إلى زيادة عليها، وكذا جاء عدد أبياتها في تخميس الشَّيخ عبد الله بن نعيم القرطبي. أما الشيخ الأنصاري فقد استغرق شرحه الأبيات الأربعين ثم قال: «وإنما اقتصرت على ماذكر لكون الناظم أشار إليه... وفي نسخة بدل «الخلج: الثلج» وبعد شرحه البيت الأربعين ذكر سبعة أبيات دون شرح، فهو لم يشرحها لاعتقاده زيادتها وإقحامها على الأصل، فهي واضحة الوضع في أكبر الظن.

وأما تخميس الشيخ القرطبي، فتخميسه يجيء منتظماً إلى أن يصل بالقصيدة لأربعة وأربعين بيتاً، ثم يضيف أربعة أبيات دون تخميس. وأما تخميس ابن الشباط التوزري فهو يصل إلى الأربعين، ثم يزيد تخميس ثلاثة أبيات واضحة الزيادة والوضع.

وأما نشرة بوذينة وكتاب المقتطفات فنحن نجد القصيدة فيهما تمتد إلى ثمانية وأربعين بيتاً، فهما يضيفان ثمانية أبيات واضحة الوضع دون تحقيق، مع جملة من التصحيفات والتحريفات، لقد أثبت ما ظننت أنه الأقرب إلى الصواب تحقيقاً.

هذه قصيدة الشيخ سيدنا الإمام العارف بالله أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي المسماة «بالمنفرجة» أعاد الله علينا من بركاته آمين.

١ـ اشتـــدي أزمـــةُ تنفـــرجـــي	قـــد آذنَ ليلـــك بـــالبلَـــج
٢ـ وظـــلامُ الليـــل لـــه سُـــرُجٌ	حتـــى يغشـــاه أبـــو السـرج(١)
٣ـ وسحـــاب الخيـــر لـــه مطـــرٌ	فـــإذا جـــاء الإبّـــانُ تجـــي(٢)
٤ـ وفـــوائـــد مـــولانـــا جمـــلٌ	لســـروح الأنفـــسِ والمُهَـــج(٣)
٥ـ ولهـــا أرج محيـــي أبـــداً	فـــاقصـــدْ محيّـــا ذاك الأرجِ
٦ـ فلـــربتمـــا فـــاض المحيـــا	ببحـــور المـــوج مـــن اللُّجَـــج

(١) في الأصل، أبو الفرج، فأثبت مافي الشروح والتخميسات لظني أنها أقرب.

(٢) الإبّان: الوقت والحين.

(٣) سقط هذا البيت من الأصل، وأضفته من نصوص الشروح والتخميسات في تخميس القرطبي «بشروح الأنفس» وفي السبكي «بشروح الأنفس بالمهج»

wadod.org

٧ـ والخلـق جميعاً في يده فذوو سعة وذوو حرج
٨ـ ونزولهم وطلوعهم فعلى درك وعلى درج(١)
٩ـ ومعايشهم وعواقبهم ليست في المشي على عوج
١٠ـ حِكَمٌ نُسِجَتْ بيد حكمت ثم انتسجت بالمنتسج
١١ـ فإذا اقتصدت ثم انعرجت فَبِمُقْتَصِدٍ وبِمُنْعَرِجِ
١٢ـ شهدت بعجائبها حجج قامت بالأمر على الحجج
١٣ـ ورضا بقضاء الله حجا فعلى مركوزته فَعُجِ(٢)
١٤ـ وإذا انفتحت أبواب هوى فاعجل لخزانتها ولجِ(٣)
١٥ـ وإذا حاولت نهايتها فاحذر إذ ذاك من العرج
١٦ـ لتكون من السُّباقِ إذا ماجئتَ إلى تلك الفُرَجِ(٤)
١٧ـ فهناك العيش وبهجته فلمبتهجٍ ولمنتهجٍ
١٨ـ فهج الأعمال إذا ركدت فإذا ماهجتَ إذن تهجِ(٥)
١٩ـ ومعاصي الله سماجتها تزدان لذي الخلق السمج
٢٠ـ ولطاعته وصباحتها أنوار صباح منبلج(٦)
٢١ـ من يخطب حور الخلد بها يظفر بالحور وبالغُنُجِ
٢٢ـ فكن المرضيّ لها بتقى ترضاه غداً وتكون نَجِي
٢٣ـ واتلُ القرآنَ بقلبِ ذي حَزَنٍ وبصوت فيه شجي(٧)
٢٤ـ وصلاة الليل مسافتها فاذهب فيها بالفهم وجي
٢٥ـ وتأمَّلْها ومعانيها تأتي الفردوس وتنفرجِ(٨)

(١) في السبكي «فإلى درك وعلى درج» وفي شرح الأنصاري كما ذكرت ثم قال: وفي نسخة «فإلى درك وإلى درج».
(٢) في شرح البصروي «فعلى مركوزتها».
(٣) في الشروح والمخمسات «لخزائنها».
(٤) السبكي «سرت إلى...».
(٥) كذا في الأصل، جاء (تهج) مجزوماً في النصوص الأخرى، ولربما جاء على لهجة من يجزم الفعل في جواب (إذا).
(٦) هذا البيت غير موجود في الأصل فزدته من الأصول الأخرى. في البصروي والأنصاري (مبتلج).
(٧) في البصروي والقرطبي (ذي حرق).
(٨) في البصروي والأنصاري: (وتفترج) وجاء الفعل (تأتي) بالياء في كل النصوص والمعطوف =

wadod.org

٢٦ـ واشربْ تسنيم مفجرها لاممتزجاً وبممتزج
٢٧ـ مُدِحَ العقل الآتيه هدى وهوى متولٍّ عنه هُجِي
٢٨ـ وكتاب الله رياضته لعقول الخلق بمندرج
٢٩ـ وخيار الخلق هداتُهم وسواهم من همج الهمج(١)
٣٠ـ وإذا كنت المقدام فلا تجزع في الحرب من الرهج
٣١ـ وإذا أبصرت منار هدى فاظهرْ فرداً فوق الثبج
٣٢ـ وإذا اشتاقت نفس وجدت ألماً بالشوق المعتلج
٣٣ـ وثنايا الحُسْنَى ضاحكة وتمام الضحك على الفلج
٣٤ـ وعياب الأسرار اجتمعت بأمانيها تحت الشرج(٢)
٣٥ـ والرفق بدوم لصاحبه والخرق يصير إلى الهرج
٣٦ـ صلوات الله على المهدي الهادي الناس إلى النهج
٣٧ـ وأبي بكر في سيرته ولسان مقالته اللهج
٣٨ـ وأبي حفص وكرامته في قصة سارية الخُلُجِ
٣٩ـ وأبي عمرو ذي النورين الـ مُستَحْيِي المستحيي البهج
٤٠ـ وأبي حسن في العلم إذا وافى بسحابيه الخُلُجِ

انتهت القصيدة المباركة بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه

المصادر والمراجع

الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة ـ الشيخ زكريا الأنصاري ـ مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس + نشرة بوذينة.

الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم ـ بيروت ط٤ ١٩٧٩م.

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ـ لابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد ـ بعناية محمد بن أبي شنب ط٢ الجزائر ١٤٠٦م.

بغية الوعاة ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوئف والمرابطين د. إحسان عباس.

= (تنفرج) مجزوم على أنه معطوف على جواب طلب (تأتِ).

(١) في شرح البصروي: وخيار الناس.

(٢) في شرح البصروي: (وغياب السر قد اجتمعت بأمانتها) وقد روى الأنصاري والسبكي والقرطبي (بأمانتها) أيضاً وروى الأنصاري (تحت السرج).

wadod.org

تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان ـ دار المعارف بمصر.

تخميس ابن الشباط التوزري ـ نشر بوذينة ـ تونس.

تخميس عبد الله بن نعيم القرطبي ـ في ضمن كتاب «عنوان الدراية» للغبريني.

التكملة لكتاب الصلة ـ ابن الأبار ـ بعناية عزة العطار، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٩٥٦م.

جذوة الاقتباس ـ لأبي العباس أحمد القاضي ـ الرباط ١٩٧٣م.

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ـ ابن حجر العسقلاني ـ مصر ١٩٦٧.

السريرة المنزعجة لشرح القصيدة المنفرجة ـ الشيخ علاء الدين البصروي الدمشقي ـ نشرة بوذينة ـ تونس.

طبقات الشافعية الكبرى ـ تاج الدين السبكي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية ـ أبو العباس الغبريني ـ تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

القصيدة المنفرجة ـ محمد بوذينة ـ تونس ١٩٩٤.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله ـ نشر مكتبة المثنى ـ بغداد.

المقتطفات من فنون المألوف والموشحات ـ القاهرة د.ت.

نيل الابتهاج بتطرير الديباج ـ أحمد التنبكتي ـ إشراف د.عبد الحميد الهدامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس.